المجلة الجزائرية
للمخطوطات

القواعد العلمية في تحقيق المخطوط

أ. بلبشير عمر*

إستهالة:

التحقيق هو البحث بهدف الوصول إلى الحقيقة، وتحقيق الكتب هو إصدارها على حقيقتها أو بعبارة أخرى إصدارها على الصورة التي أرادها لها مؤلفها، وهو بهذا المعنى أمر لا غنى عنه في نشر تراثنا المخطوط لأن نسخة المؤلف غالبا ما تكون مفقودة وغالبا ما يتجمع لدينا من المخطوط الواحد نسخ متعددة تتفاوت فيما بينها تفاوتا شديدا[1] ويصبح نشر أي منها على حاله أمرا قد يكون مقبولا من الناحية التجارية ولكنه من الناحية العلمية مرفوض.

ولذلك وجب على المحقق أن يجتهد للحصول على النص الذي خرج من تحت يد المؤلف، أو على نص هو أقرب ما يكون إلى نص المؤلف، وهذه هي المهمة الحقيقة للمحقق.

وهي المهمة التي تقوم على التثبت من النص وإخراجه على وجهه الصحيح وتستلزم بالضرورة **"توثيق عنوان المخطوط وتحقيق اسم مؤلفه"**[2].

*- أستاذ مكلف بالدروس، معهد التاريخ، المركز الجامعي مصطفى اسطمبولي - معسكر.

وهذا ما أشار إليه **الأستاذ عبد السلام هارون** في تعريفه للكتاب المحقق بقوله هو:»الذي صح عنوانه واسم المؤلف، ونسبة الكتاب إليه، وكان متنه أقرب ما يكون إلى الصورة التي تركها مؤلفه"[3].

ويضع والأستاذ مصطفى جواد حول مسألة التحقيق بعض الإضافات فيقول:"إن التحقيق هو الاجتهاد في جعل النصوص مطابقة لحقيقتها في النشر كما وضعها صاحبها ومؤلفها من حيث الخط واللفظ والمعنى".[4]

ومع بداية الاشتغال بالتحقيق لم يكن ثمة **منهج معلوم** يمكن أن يلتزم به المحققون، وإنما كان لكل منهم طريقته ومنهجه.

ومع مرور السنين بدأت **الخبرات** تتراكم وبدأ التفكير في تحديد مسالك هذه العملية ووضع الضوابط التي تحكمها.

وعلى إثر ذلك ظهرت بعض الكتب التي تحاول أن تخدم هذا الجانب، وأهم هذه الكتب:

1- **تحقيق النصوص ونشرها**، لعبد السلام هارون.

2- **قواعد تحقيق المخطوطات**، لصلاح الدين المنجد.

3- **أصول تحقيق النصوص**، لـ مصطفى جواد

4- **دراسات وتحقيقات**، لـ محمد علي الحسيني[5].

5- **محاضرات في تحقيق النصوص** لـ حسين نصار

6- **تحقيق التراث**، لعبد الهادي الفضلي.

7- **مناهج تحقيق التراث بين القدامى والمحدثين**، لرمضان عبد التواب.

ويبدو أن المكتبة العربية تضم الآن قدراً لا بأس به من الأعمال حول أصول التحقيق وقواعده، مما يكشف عن مدى اهتمام الباحثين العرب المحدثين بقضايا النشر والتحقيق، والظاهر على هذه الكتب وغيرها أنها تلتقي عند أصول عامة، إلا أن كلا منها يحتفظ بمنهجه وأسلوبه في التحقيق، غير أن الذي يهمنا منها تلك القواعد الأساسية والخطوات العملية في التحقيق، والتي يمكن أن نلخصها في ثلاثة مراحل أساسية هي:

1- جمع نسخ المخطوطة الأصلية والفرعية والمقارنة بينهما وتحديد منازلها.

2- توثيق عنوان المخطوط وتحقيق اسم مؤلفه، ونسبة الكتاب إليه، وتحرير نصوصه.

3- إخراج النص ونشره.

المرحلة الأولى:

أولا: جمع نسخ المخطوطة وتحديد منازلها:

يقوم الباحث خلالها بالرجوع إلى فهارس المكتبات والأعمال الببليوجرافية[6]، التي تحصي تراثنا المخطوط وتحدد أماكن تواجده، لكي يتسن له معرفة النسخ المختلفة للكتاب الواحد.

كما يمكن الاستعانة بما توفره وسائل التصوير الحديثة من نسخ **ميكروفيلمية** من المخطوطات الموجودة في أية مكتبة من المكتبات.

ولمعرفة مدى أهمية عملية تجميع النسخ، يمكن الرجوع إلى ما كتبه **الأستاذ هلال ناجي** الذي أشار إلى خطورة الاعتماد على النسخة الواحدة، ودعم رأيه بالمثال والدليل بالنماذج التطبيقية[7].

ورغم كل هذا الجهد فمن البديهي أنه لا يمكن بوجه قاطع أن نعثر على جميع النسخ المخطوطة، التي تخص كتاب واحدا إلا على وجه **تقريبي**، فمهما أجهد المحقق نفسه للحصول على أكبر مجموعة من المخطوطات فإنه سيجد وراءه **معقبا** يستطيع أن يظهر نسخا أخرى من كتابه، و ذلك لأن الذي يستطيع أن يصنعه المحقق هو أن يبحث في فهارس المكتبات العامة على ما بها من قصور و تقصير، فما أكثر **مكتبات الأفراد** التي تضم مجموعات من المخطوطات لا يعرف عنها أحد شيئا .

وبعد عملية **جمع النسخ** تبدأ مسألة **فحص النسخ وترتيبها**[8] أو ما يعرف"**بتحديد منازلها** ".

وعملية الفحص الهدف منها تقرير وترتيب النسخ، ويكون الفحص من خلال:

- فحص الورق للتحقيق من عمره والتأكد من **مصداقية البلى** عليه.
- فحص الحبر الذي كتبت به لمعرفة **عصره**.
- دراسة الخط لمعرفة عصره ومكانه (مشرقي أو مغربي).
- فحص الأبواب والمتن والعنوان والناسخ، والبحث في ثنايا النسخة عما يدله على ما يفيد في ترتيبها (التمليكات والسماعات والإجازات وتقصي الأشخاص الذين ورد ذكرهم في السماع أو الإجازة).

ثم يقوم المحقق بترتيبها وفق **منازل النسخ** فليس كل مخطوطات الكتاب الواحد سواء في أقدارها وقيمتها، ففيها الكامل والناقص، وفيها القديم والحديث، وفيها الواضح والغامض، وفيها الموثق بسماعاته وإجازاته ومقابلاته وغير الموثق، وإذا كانت أفضل النسخ هي أقدمها وأكملها وأوضحها وأوثقها —القرب من

عصر المؤلف- فإن هذه المواصفات قلما تجتمع في نسخة واحدة، فقد تكون النسخة الأقدم ناقصة أو متعذرة القراءة أو غير موثقة، وقد تكون النسخة الكاملة هي الأحدث والعارية من مظاهر التوثيق التي ذكرناها[9]، وقد توجد نسخ غير مؤرخة يصعب وضعها في مكانها الزمني بين النسخ الأخرى، وهنا تأتي أهمية الآليات المتبعة في فحص النسخ.

ومن ثم يتم اختيار النسخة التي تتخذ أصلا للتحقيق تقابل عليه النسخ الأخرى، والاستغناء عن النسخ المتشابهة والاكتفاء بالأصل الذي أخذت منه.

ثانيا: تحقيق المخطوطة:

وهو موضوع ألم به إلماما عابرة عالمان جليلان الأول هو **الأستاذ عبد السلام هارون**[10]-رحمه الله- والثاني **هو الدكتور رمضان عبد التواب**[11] كلاهما تحدث عن هذا الموضوع حديثا موجزا ظل يحن إلى مزيد من الشرح والتفصيل.

ويشمل التحقيق عنوان المخطوط والتثبت من اسم مؤلفه ونسبة الكتاب إليه، و تحرير نصوصه.

الجانب الأول: تحقيق عنوان الكتاب[12]:

والمخطوطة إحدى اثنين: إما أن يكون لها عنوان أو لا يكون لها عنوان.

وفي كل الأحوال يجب على المحقق السعي لمعرفة العنوان الحقيقي للمخطوطة، فقد يكون العنوان المسجل عليها مطموسا لا يمكن قراءته أو مفقودا أو مزيفا عمدا أو خطا.

ولتحقيق عنوان الكتاب يلجأ المحقق إلى:

أ-كتب **الببليوجرافية** التي تحصي أسماء المؤلفين والمؤلفات، لمعرفة ما ألف في هذا الموضوع، ومتى ومن صاحبه، من ذلك:

- **فهرست ابن النديم.**
- **مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم**، لطاش كبرى زادة.
- **هداية العارفين في أسماء المؤلفين وآثار المصنفين**، لإسماعيل البغدادي.

وغيرها من كتب **الببليوجرافية**

ب- السعي للعثور على كتب يفترض أنها قد حوت نقولا من هذه المخطوطة وتكون قد أشارت إلى اسمها.

ج- قراءة النص وتحديد موضوعه والتمرس بأسلوب المؤلف وخصائصه.

الجانب الثاني: التثبت من اسم المؤلف[13]:

وتعد هذه الخطوة من أصعب ما يقوم به المحقق، فالمخطوطة هي إحدى اثنين: إما أن تكون لها عنوان أو لا يكون لها عنوان.

وخلوا المخطوطة من العنوان: إما لفقد الورقة، أو انطماس العنوان، وأحياناً يثبت على النسخة عنوان واضح جلي ولكنه يخالف الواقع وهذا مرده إلى أمرين اثنين:

- إما بداعي من دواعي التزييف.
- وإما لجهل قارئ ما وقعت إليه نسخة مجردة من عنوانها فأثبت ما خاله عنوانها.

وأمام هذه الحالات ينبغي للمحقق ألا يأخذ النسخة التي أمامه مأخذا كليا، بل ينظر إليها نظرة التشكيك في كل أجزائها حتى يتأكد من سلامتها.

ومن ذلك **اسم المؤلف**، فلا يكتفي باعتماده بمجرد وجوده على النسخة، بل يبحث في القرائن التي تؤكد له صحة هذا الاسم.

وإذا كانت المعلومة المتاحة لدينا هي **عنوان الكتاب** ونريد التثبت من صحته ومعرفة مؤلفه فيمكن الرجوع إلى:»**كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون** «لحاجي خليفة وذيله المسمى: «**إيضاح المكنون**»لإسماعيل البغدادي.

الجانب الثالث: تحقيق متن المخطوطة[14]:

إن عملية **تحقيق نصوص** المخطوط ليس مجرد مقابلة عدة نسخ على بعضها، ولا هو تصويب له أو تصحيح لأخطائه، وإنما هو محاولة للاقتراب من النص الذي تركه المؤلف وافتقدناه، ولهذا تجدر الإشارة إلى المبادئ الأساسية التي ينبغي الأخذ بها وأهمها:

أ- أن تقويم النص أو تصحيح المعلومات الواردة به ليس من مهمة المحقق[15].

ب- استكمال النقص الموجود في النص ليس من مهمة المحقق إلا إذا كان النص لا يستقيم دون إضافة، وفي هذه الحالة ينبغي أن توضع الإضافة بين معقوفتين[16].

ج- لا يصح إدخال الزيادة الخارجية التي يقصد بها التوضيح أو إشباع الكلام في النص، مع جواز الإشارة إليه في الحاشية[17].

د- وضع هوامش للصفحات من أجل:

إثبات الخلاف بين النسخ:

تخريج النصوص (آية قرآنية، حديث شريف، نص من الكتاب) تراجم الأعلام والأماكن المذكورين في النص، وتفسير العبارات الغامضة التي تحتاج إلى بسط لفهم المراد.

التنبيه على الأخطاء العلمية، أما الأخطاء الإملائية واللغوية فتصوب في مواضيعها ما لم تكن النسخة التي ننشرها هي أصل المؤلف، ففي هذه الحالة يستبقى الرسم الإملائي كما هو، وتستبقى الأخطاء النحوية كما هي لأنها جزء من **تكوين المؤلف** و دليل على **ثقافته** ومع ذلك فينبغي التنبيه على الصواب في **الحاشية**.

ثالثا: الإخراج والنشر[19]:

بعد توثيق عنوان المخطوط وتحقيق اسم مؤلفه وتحرير نصوصه تأتي **مرحلة الإخراج والنشر**، فيقوم المؤلف ضمن جهوده في تحقيق المخطوطة بأن يقدم له بمقدمة تشمل الجوانب التالية:

نبذة على عصر المؤلف:

وتشمل مظاهر الحياة بما فيها السياسية والاجتماعية والاقتصادية والفكرية.

ب– نبذة عن المؤلف:

تشتمل جوانب سيرته المختلفة مثل ميلاده، ونسبه وتعليمه البلاد التي رحل إليها و أين تلقى علمه، ونبذة عن شيوخه، ثم نبذة عن أشهر تلامذته و بعض مواقفه ليربط قارئ المخطوطة بصاحبها.

ج–التعريف بالمخطوط:

ويشمل التعريف الجوانب التالية:

1- منزلة هذه المخطوطة بين المؤلفات الأخرى في هذا العلم أو الفن.

2- مضامين المخطوطة ومصادرها.

3- تاريخ النسخ المخطوطة الأصلية ومكانها، ثم يعرج على النسخ الأخرى ويذكر أسماء ناسخيها وتاريخ نسخها وتقدير عمر هذا النسخ وعدد أوراقها وقياسها ونوعها وعدد السطور في الورقة وطول كل سطر وما فيها من هوامش وأبعاد[20] (المقاسات).

كما يقوم المحقق بإثبات **صور للمخطوط** تشمل الصفحات ذات الأهمية كصفحة العنوان أو المقدمة أو الخاتمة.

كذلك ينبغي أن يختم الكتاب بمجموعة من **الفهارس** تتناسب مع موضوع المخطوط والتي تحلل محتوياته وتيسر استخدامه كفهرسة الآيات القرآنية والأحاديث النبوية والأشعار وفهرس الكتب الواردة عرضا في المتن وفهرس الأعلام الجغرافية و فهرس الأعلام البشرية.

خاتمة:

لقد عنيت هذه الورقات بمعالجة أمور دقيقة بالغة الأهمية في **قواعد تحقيق المخطوطات**، مر بها بعض الذين كتبوا في هذا الفن من السادة الباحثين الفضلاء، والذين رتبوا مسالك هذا المنهج، وقد إتضح مما تقدم أنه لا يمكن البحث في **توثيق نص** من النصوص وتحقيقه ودراسته دون الإلمام بالأسس المادية، وتحديد الظروف العلمية والاجتماعية التي تم خلالها إنجاز **المخطوط**، ثم معرفة الطرق التي وصل بها إلينا هذا النص، ويتوقف نجاح المحقق في هذه المهمة يحتاج إلى الجمع بين العلم والخبرة ومعرفة أنواع الخطوط.

الهوامش:

1. **د/ عبد الستار الحلوجي**، المخطوط العربي، مطبعة مصباح، ط2- المملكة العربية السعودية 1409هـ/1989م: ص273- انظر كذلك: د/كمال حيدر، منهج البحث الأثري والتاريخي، دار الفكر اللبناني، بيروت، ط1-1995م:ص155- أ/**أحمد شوقي بنين**، دراسات في علم المخطوطات والبحث الببليوغرافي، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، المملكة المغربية، ط1-1993م: ص23-وما بعدها- **د/غازي حسن عناية**، إعداد البحث العلمي، دار الجليل، بيروت1412هـ/1992م: ص91.

2. **د/محمد زكي عناني، بالاشتراك مع د/سعيد محمد رمضان**، في مناهج البحث وتحقيق النصوص، دار النهضة العربية، بيروت، ط1-1999م: صص219-224-انظر كذلك: أ/ **هلال ناجي**، محاضرات في تحقيق النصوص، دار الغرب الإسلامي ط1- بيروت لبنان، 1994م: ص7.

3. أ/ **عبد السلام هارون**، تحقيق النصوص ونشرها، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان 1422هـ/2001م: ص 43.

4. أصول تحقيق النصوص، **د/ مصطفى جواد**، ضمن كتاب **د/ محمد علي حسيني**، دراسات وتحقيق، بغداد سنة 1964-1965م: ص5.

5. أصل هذا الكتاب محاضرات ألقاها **د/ مصطفى جواد علىّ** طلاب الماجستير بقسم اللغة العربية بجامعة، حول "أصول تحقيق النصوص»وجمعها د/ **محمد عليّ الحسيني**، المرجع نفسه.

6. من أهم الأعمال في هذا المجال كتاب:

- تاريخ الأدب العربي، **لكارل بروكلمان**، ترجمة **عبد الحليم النجار**، منشورات الإدارة الثقافية، دار المعارف بجامعة الدول العربية القاهرة، 1960م.
- تاريخ التراث العربي، **لفؤاد سيزكين**، ترجمة: د/ **فهمي أبو الفضل**، القاهرة1971م.
- فهارس المخطوطات العربية في العالم، للعالم العراقي **كوركيس عواد**، الكويت1984م.

7. أ/ **هلال ناجي**، المرجع نفسه: ص 37.

8. أ/**عبد الله الكمالي**، كتابة البحث وتحقيق المخطوطة، دار ابن الحزم، ط1- بيروت، لبنان، 1422هـ/ 2001م: ص69

9.أ/ **عبد الستار الحلوجي**، المرجع السابق: صص279-انظر كذلك: د/**كمال حيدر**، منهج البحث الأثري والتاريخي، دار الفكر اللبناني، ط1- بيروت1995م:155-157.

10.حول هذا الخطوة من عملية التحقيق انظر:أ/**عبد السلام هارون**، مرجع سابق: ص44-45- انظر كذلك: د/ **محمد زكريًّا عناني**، مصدر سابق: 219-224- الدكتورعبد الهاي الفضلي، تحقيق التراث، جدة، 1982م: ص147.

11. حول هذا الخطوة من عملية التحقيق انظر: عبد السلام هارون، المرجع نفسه: ص45-وما بعدها-انظر كذلك: عبد الله الكمالي، المرجع السابق، ص ص: 96-97.

12.حول هذا الخطوة من عملية التحقيق انظر:**عبد السلام هارون**، المرجع نفسه: 45-وما بعدها-انظر كذلك: ص52-وما بعدها- انظر كذلك: **محمد زكريًّا عناني**، مرجع سابق: ص ص: 233-238-**عبد المجيد دياب**، تحقيق التراث العربي منهجه وتطوره، القاهرة 1983م: ص171- **صلاح الدين المنجد**، قواعد تحقيق المخطوط، دار الكتاب الجديد، بيروت، ط6-1982م: ص15.

13.أ/ **عبد السلام هارون**، المرجع نفسه: ص 79.

14.د/ **رمضان عبد التواب**، مناهج تحقيق التراث بين القدامى والمحدثين: صص74-77.

15.**د/غازي حسن عناية**، إعداد البحث العلمي، دار الجليل، بيروت1412هـ/1992م:ص/105.

16.أ/ **عبد الستار الحلوجي**، لمرجع نفسه: ص 279.

17.**عبد السلام هارون**، مصدر سابق: ص79.

18.حول هذا الخطوة من عملية التحقيق انظر: عبد السلام هارون، مصدر سابق: 86-87 انظر كذلك:**د/ كمال حيدر**، مرجع سابق: ص160-162.

19. **د/ ثريا عبد الفتاح ملحس**، منهج البحوث العلمية للطلاب الجامعيين، دار الكتاب اللبناني، بيروت1402هـ/1982 م: ص213.